# اللغة في المنظور العلمي: دراسة تحليلية للمسألة اللغوية في الجزائر

# Language in the scientific perspective: Analytical study of the linguistic issue in Algeria

**جميلة معمري**[1]

تاريخ الإيداع: 2021/04/26 تاريخ القبول: 2021/05/08 تاريخ النشر: 2021/07/17

**ملخص:**

تحتل اللغة مكانة هامة في المنظومة المعرفية للمجتمعات، فهي ليست مجرد وسيلة للاتصال والتخاطب فقط، بل هي من أهم المداخل المعرفية التي تقاس بها حضارة المجتمعات ورقيها، وهذا ما يجعل التخطيط اللغوي عملية دقيقة تهتم بها المجتمعات لتحقق أهدافها التنموية، بعيداً عن الخطابات الإيديولوجية. إلاّ أن هذه العملية عرفت تذبذباً ملحوظاً في المجتمع الجزائري، خاصة على مستوى التطبيق، فبين مؤيدي التعريب وبين معارضيه نتجت وضعية غير واضحة، نقلت النقاش من تفعيل دور اللغة في المسار التنموي إلى الدخول في خطابات إيديولوجية حول القيم التاريخية والوطنية والدينية.

**الكلمات المفتاحية** : اللغة؛ السياسة اللغوية؛ التخطيط اللغوي؛ التعريب.

**Abstract:**

Language occupies an important place in the cognitive system of societies. It is not only a means of communication, but it is one of the most important cognitive approaches that measure the civilization and culture of societies. This makes linguistic planning a delicate process that societies are interested in achieving their development goals, away from ideological discourse. However, this process was characterized by a noticeable fluctuation in Algerian society, especially at the level of application. Among

[1] – قسم علم الاجتماع والديموغرافيا، جامعة الجزائر2 djamila.mammeri@univ-alger2.dz

the supporters of Arabization and its opponents resulted in an unclear situation, the debate shifted from activating the role of language in the development process to entering ideological speeches about historical, national.
**Keywords**: Language; Linguistic policy; Linguistic planning; Arabization.

**مقدمة:**

اللغة هي نتاج المجتمع، فهو الذي يحدد دلالاتها ومعانيها بالاتفاق عليها، ويعين الفرد على اكتسابها، ثم نقلها لغيره، فعلاقة اللغة بالمجتمع تعبر عن ارتباطها بتاريخه وحضارته وفكره، هذه العلاقات التي تربطها بمختلف جوانبه، كانت محل اهتمام العديد من الدارسين في مختلف الجوانب المعرفية خاصة منها الإنسانية والاجتماعية. فقد انتقلت دراسة اللغة من مجرد اعتبارها ظاهرة طبيعية وصولاً إلى كونها ظاهرة اجتماعية معقدة تؤثر وتتأثر بالواقع الاجتماعي والاقتصادي والثقافي للمجتمع.

يتميز المحيط السوسيولغوي في المجتمع الجزائري بالتنوع اللغوي، إذ تتمازج لهجات عامية مختلفة، ولغات وطنية ورسمية، ولغات أجنبية أيضاً، لتثمر وضعية لغوية فريدة من نوعها. هذا الوضع له جذوره التاريخية، فللمكانة الجغرافية والاستراتيجية التي تحتلها الجزائر الدور الهام. إن الوضعية التي عاشها المجتمع الجزائري لِما يزيد عن القرن وعشرات السنين أفرزت على المستوى السياسي فريقين، فريق كان يطمح أن يلغي اللغة الفرنسية من المحيط الاجتماعي ومن التعليم ومن الإدارة، ومن ألسنة الجزائريين الذين أصبحوا يجيدونها ويستخدمونها في ممارساتهم وفي حياتهم اليومية، باعتبارها لغة المستعمر الذي هاجم الدين من خلال اللغة. وفريق آخر أراد أن يعتبرها غنيمة حرب يمكنها أن تؤدي أدوارا أخرى في الخارطة السوسيولغوية للبلاد، خاصة الاقتصادية منها. وظل الوضع السوسيولغوي في الجزائر

رهينة صراع الفريقين إلى يومنا هذا. تسبب هذا الوضع في آثار انعكست على مجالات عدة وكان أهمها مجال التعليم عامة ومجال تعليم اللغات بصفة خاصة، حيث أجمعت العديد من الدراسات في مجال علوم التربية على أن التخطيط اللغوي لأي مجتمع يجب أن يبدأ من المنظومة التربوية، لما لها من أدوار هامة في إعداد الأجيال الناشئة علميا، واجتماعيا، وكذلك لغويا، هذه المعطيات قادتنا إلى طرح التساؤلات التالية:

- كيف أصبحت اللغة موضوعاً محورياً في الدراسات السوسيولوجية؟
- ما هو واقع التخطيط اللغوي في الجزائر؟
- ما هي الرهانات المحيطة بمسألة اللغات في الجزائر؟

## 1. دراسة اللغة من المنظور الطبيعي إلى المنظور السوسيولوجي:

إن التساؤل عن نشأة اللّغة يعتبر من التساؤلات الفلسفية التي أثارت الكثير من الجدل ولا تزال، فسواء كانت ناتجة عن رغبة الأفراد في التواصل من أجل التعايش أو التناحر، والتنافس أو التساوي، إلى اعتبارها ظاهرة اجتماعية معقدة، فإن نشأة اللّغة بين البشر تزامن مع إدراكهم لقدراتهم على التعبير عن ما يختلج في عقولهم ونفوسهم من رغبات وحاجات وأحاسيس وأفكار، بطرق مختلفة شفوية كانت أم جسدية أو بطرق إيحائية، وأصبحت مع التغير الاجتماعي وسيلة للتبادل الثقافي والاجتماعي والاقتصادي، وهو ما أثار اهتمام الباحثين في مجال اللسانيات وأثمر تيارات نظرية متعددة هدفها الأول دراسة الظاهرة اللغوية وتأسيس منهج لها.

### 1.1. الدراسات اللغوية الكلاسيكية وفق التيار الطبيعي:

يرى أصحاب النظرية الغريزية بأن اللّغة مبعثها النفس والرغبات سواء كانت رغبات ذات دوافع نفسية أو اجتماعية أو تواصلية، هذه الرغبات اتفقت مع قدرة الإنسان على

إصدار الأصوات والتمييز بينها. فللإنسان استعدادات فيزيولوجية وعقلية ونفسية تساعده على التعبير عن ما يجول في نفسه من أحاسيس وفي عقله من أفكار، ومن بين العلماء القائلين بهذه النظرية نجد ابن سينا، وجان جاك روسو، وماكس مولر. ( عكاشة محمود، 2007، ص ص 78، 79) ويذهب جان جاك روسو إلى أن نشأة اللّغات الأولى كان منبعها الرغبات والنزعات، كالحب والحقد، والرحمة والغضب، إذ يقول أن هذه النزعات هي التي استخرجت الأصوات الأولى للإنسان. (Jean-Jacques Rousseau, 1990, pp. 66-67)

إن الدراسات اللغوية الخاصة بالقرن التاسع عشر كانت مصحوبة بوجهات النظر حول وظائف اللسان، هذه التصورات تمثلت في تشبيه اللسان بالظواهر الأخرى، فبتأثير البيولوجيا كان ينظر للّسان على أنه كائن حي وللّسانيات على أنها علم طبيعي. وهذا ما عكسته أعمال اللغوي الألماني أوغست شليشير (August Schleicher) صاحب نظرية الحياة الطبيعية للغات، من أنصار مبدأ اعتبار اللغة كظاهرة طبيعية، حيث كان متأثراً بأعمال داروين في مجال اللغة، أي تطبيق مبدأ التحول الطبيعي، إذ يرى أن اللغات أجسام طبيعية تولد، وتنمو، وتشيخ وتموت. إن مجموع هذه الظواهر تسمى بالحياة وبالتالي فإن علم اللغة هو علم طبيعي ومنهجها هو نفس منهج العلوم الطبيعية (Claude Hagege, 2000, pp. 25, 26)، يمكن القول أن البحوث اللّغوية أخذت منهجا علميا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، حيث تأثرت بالتقدم المنهجي في العلوم الطبيعية، إذ سعت إلى التوصّل للقوانين المفسرة للتغيّرات اللّغوية، حيث ظهرت مدرسة جديدة تأسست عام 1870 في جامعة لايبزيف بألمانيا، سمي أصحابها بالنحويين الجدد، وشكلوا ما اعتبر من أهم المدارس اللغوية، التي كان لها تأثير بارز في القرن العشرين.

من أبرز إسهاماتها الصوتيات التاريخية، فقد تأثر النحويون الجدد من أمثال كارل بروجمان، وهيرمان أسذوف، وويلهيلم برون وغيرهم، بالتيّار الوضعي وبنوا تصوراتهم لموضوع اللّغة على نمط العلوم الطبيعية، وحاولوا من خلال منهجية دقيقة الوصول إلى القوانين المتحكمة في اللّغات.

ومن خلال دراساتهم تطورت النظرة العلمية لموضوع اللّغة، إذ لم يعد ينظر لها على أنها نظام يتطور ذاتياً وإنما نتاج الضمير الجمعي للجماعات اللّغوية. ومع نهاية القرن التاسع عشر بدأ التساؤل يتبلور حول ماهية الظروف المحيطة بحياة اللّغات، وهذا ما صاغه الباحث الأمريكي ويليام دويغ ويتني في كتابه حياة اللغة عام 1875. لقد بدأ علم اللّغة يأخذ حدوده الواضحة ببروز ثلاثة لغويين مرموقين هم فرديناند دي سوسير، وبلومفيلد، وسابير، حيث أعلن سوسير أن موضوع علم اللّغة لا يدرس لغة معينة وإنما يتناول بالدراسة كل ظواهر الكلام الإنساني القديم والحديث، ومن هنا بدأ علم اللّغة يتخذ اسم علم باعتبار موضوعه مادة محسوسة تدرس كما هي وليس كما ينبغي أن تكون (عبده الراجحي، 1982، ص ص 18-20).

### 2.1. الدراسات اللغوية والإسهامات البحثية لفرديناند دي سوسير:

لقد أدرك اللغويون أن تطور هذا العلم مقرون بمجالات معرفية أخرى كعلم الاجتماع والتاريخ وعلم النفس والأنثروبولوجيا وعلم وظائف الأعضاء وعلم التشريح، وهذا ما قال به دي سوسير إذ جاء في دروسه أن العلاقة الرابطة بين اللسانيات والعلوم الأخرى هي علاقة حميمة، فهذه العلوم تعيرها معطيات أحيانا وتساعدها على رسم الحدود بينها أحياناً أخرى، مع الحفاظ على خصوصية دراسة اللغة حيث نادوا بدراستها داخل علم اللغة ووفقا للقوانين التي يحددها اللغويون أنفسهم. ويتفق علماء اللسانيات على أن موضوع علم اللغة هو

"اللغة"، ويدرس على أساس المنهج العلمي والموضوعي، ويشتمل على دراسة أربع مستويات: الصوتية، والصرفية، والنحوية، والدلالية (عبده الراجحي، 1982 ص 18).

لقد اعتبر دي سوسير من أهم اللسانيين منذ شبابه، فقد اصدر عام 1878 دراسة بعنوان النظام البدائي للصوائت في اللغات الهندو–أوروبية، و قد لقي هذا المؤلف صدى كبير واعتبر كابتكار بارز، حيث اكتشف فيه بعض المبادئ الأساسية كالقانون المسمى بقانون الحنك، الذي أحدث ثورة في النظرة للغات الهندو–أوروبية (Giuliu C. 1969 , p.45) لكن هذا الكتاب لم يصنع كل شهرة دي سوسير، لقد قضى هذا اللساني جل حياته في دراسة اللسانيات التاريخية و تدريسها، ولم يدرس اللسانيات الآنية و اللسانيات العامة التي اشتهر بهما بعد موته إلا في السنوات الأخيرة من حياته، ويعد هذا المفكر اليوم أب اللسانيات الحديثة و مؤسس المنهج الآني و أول منظر في كل من البنيوية والسيمياء. (مؤمن أحمد، 2002، ص120)

يعتبر نص "دروس في اللسانيات العامة" ذو قيمة لا متناهية بالنسبة لتاريخ اللسانيات الحديثة، لكن يجب الإشارة إلى أنه لم يستوعب في كليته في الثقافة اللسانية، وهذا راجع إلى أن هذا النص لم يكن من كتابة الأستاذ، والذي ترك القارئ غير راض تماما في نقاط معينة باعتباره تجنب المشاكل الحقيقية في دراسة اللغة. (Giuliu C. 1969 , p.46) لقد كان من أهم انشغالات دي سوسير آنذاك إعطاء موضوع خاص باللسانيات، إذ اعتبرها مجرد أشياء قابلة للدرس و التجربة، وكان تأثره واضحا بعلم الاجتماع حيث يرى أن الظواهر اللغوية أشياء ذات طابع خاص من النوع الذي أطلق عليه معاصره دوركهايم اسم "الوقائع الاجتماعية" (مؤمن أحمد، 2002، ص 120).

لم يكن انشغال سوسير الأول إرساء الأسس الكافية لدرس العلاقات بين اللغات و المجتمعات، و إنما هو تحديد موضوع و إيجاد منهج اللسانيات الحديثة. و على هذا النحو كان يتعين على اللسانيات أن تفرض ذاتها بتحديد موقعها بكل وضوح في مواجهة علوم أخرى كالفيزيولوجيا، وعلم النفس، والفلسفة، وعلم الاجتماع، والتاريخ وغيرها من العلوم، جرت العادة إلحاقها كلها أو بعضها بدراسة اللغات. (جولييت غارمادي 1990، ص ص 15، 16)

لقد أكد دي سوسير أولا على البنية اللغوية، أي الترتيب الداخلي و ثانيا على أهمية اللغة المنطوقة لأنها المظهر الأول و الأساسي للغة، لأن اللغة المكتوبة هي مظهر ثانوي، أما المنطوق فله دور أساسي في تعاملات الناس اليومية وتختلف في كثير من الجوانب عن اللغة المكتوبة، و هذا ما شكّل اتجاها جديدا في الدراسات اللغوية.

## 2. الدراسات اللغوية الحديثة والمقاربة السوسيولوجية:

سنتناول هذه النقطة من خلال ثلاثة باحثين بارزين هم بازيل برنشتاين، ووليام لابوف، وبيار بورديو، لأن اسهاماتهم المفاهيمية هي الأقرب إلى تفسير معطياتنا الميدانية.

### 1.2 برنشتاين ومقاربة الأصل الاجتماعي :

يعتبر بازيل برنشتاين من أبرز علماء الاجتماع التربوي، حيث أثَّرت أعماله الممتدة على مدى أربعين سنة، على جيل من المختصين في علم الاجتماع وعلوم التربية واللسانيات. فمنذ مؤلفاته الأولى حول اللغة، "رموز الاتصال والمدرسة"، إلى آخر كتاباته حول التخاطب البيداغوجي، "مناهج التعلم ونقل المعارف"، استطاع أن يؤسس نظرية الرموز الاجتماعية والتربوية وأثرها على إعادة الإنتاج الاجتماعي.

تستمد سوسيولوجيا برنشتاين مبادئها من الدوركهايمية والفيبيرية والماركسية والتفاعلية الرمزية، إلاّ أنه كان يعتبر نفسه دوركهايميا من الدرجة الأولى. أصبحت أبحاثه من الأعمال الرائدة التي ساعدت على فهم العلاقات القائمة بين الاقتصاد السياسي، والعائلة، واللغة، والمدرسة. ورغم أنه كان يعتبر نفسه من المدافعين عن العدالة الاجتماعية، إلا أن أعماله قوبلت بعدم الفهم وقُيمت بأنها شكل لنظرية العجز الثقافي. (Alain R. Sadovnik, 2013, p.1) قوبلت أول كتاباته في مجال علم الاجتماع اللغوي بجدل شديد لأنه كان مهتما بالاختلافات بين الطبقات الاجتماعية والتي سميت عند البعض بنظرية العجز، ومع ذلك فقد أثار أسئلة بالغة الأهمية ارتكزت على العلاقات بين التقسيم الاجتماعي للعمل، والعائلة والمدرسة، حاول من خلالها فهم كيف يمكن للتباينات الاجتماعية أن تتدخل في التباينات التعلّمية حسب الطبقة الاجتماعية.

إن مشروعه الذي ظهر في كتاباته حول اللغة والتطور النظري للرموز، والأعمال حول البرامج والمناهج الخاصة بالخطاب البيداغوجي تمثل في دراسة عملية إنتاج وتصنيف وإعادة إنتاج المعارف الرسمية، كما اهتم بفهم علاقة التبعية بين المعارف وعلاقات القوى المحددة نسقيا. فمن خلال تحليله للمناهج البيداغوجية هدف إلى فهم سيرورة ومحتوى ما يحدث في المدرسة إذ قام بفحص في آن واحد، الكيفية التي تؤثر بها المناهج البيداغوجية على المحتوى المدرَّس والأهم، الآثار الانتقائية التي تمارسها على المتعلمين الذين يتوصلون إلى اكتسابه. إن أهمية أعمال برنشتاين تكمن في أنها أسست لنظرية المعارف المدرسية وانتقالها، حيث وضّح كيفية انتقال المعارف في العملية التعليمية. كما أنه ربط بين المظاهر السوسيولغوية الخاصة بأعماله الأولى، وبتحليل الرموز الخاصة بالتعلم، وأخيرا قام بالربط بين سيرورة ومحتوى التعليم

وبين مختلف الطبقات الاجتماعية، وذلك بتحليل نتائج هذه الاختلافات بالبرامج الدراسية والبيداغوجية.

### 2.2. لابوف ومقاربة الطبقات الاجتماعية:

يعتبر ويليام لابوف أب اللسانيات التنوعية، إذ اهتم بالتغيرات اللغوية في ضوء العوامل الاجتماعية، من خلال تفسير العلاقة الديناميكية القائمة بين التنوع والتغير الحاصل في اللغة. يرجع العديد من العلماء ميلاد اللسانيات الاجتماعية للاجتماع الذي بادر به وليام برايت والذي ضم 25 باحثا، بمدينة لوس أنجلس في ماي 1964، من أجل مناقشة العلاقة بين اللغة والمجتمع، وقد قدم 13 باحثا منهم مداخلات تمحورت حول مواضيع متنوعة، وكان من بينهم وليام لابوف. (Calvet, Louis-Jean, 2011, pp. 83, 84)

كان برايت يتصور اللسانيات الاجتماعية بأنها مقاربة ملحقة بظواهر اللغة، جاءت لتكمل اللسانيات أو علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، إن هذه التبعية تلاشت شيئا فشيئا مع لابوف. سنة 1966 قام لابوف بنشر أطروحة الدكتوراه الخاصة به، وقد أصبحت دراسته مرجعا أساسيا في مجال اللسانيات الاجتماعية. فقد ذهب لابوف لأبعد ما قدمه معاصريه حيث قال "ليس هناك مجال للتفريق بين اللسانيات العامة التي تدرس اللغات واللسانيات الاجتماعية التي تأخذ بعين الاعتبار المظهر الاجتماعي لهذه اللغات وبصيغة أخرى اللسانيات الاجتماعية هي نفسها اللسانيات". وعن وضعية اللغة في الطبقات الاجتماعية فلا يتصور لابوف أي ممارسة لغوية مثمرة دون أن تكون في الأصل ممارسة اجتماعية، حيث اعتبر اللسانيات الاجتماعية هي لسانيات تجريبية تأخذ بعين الاعتبار البعد الاجتماعي لموضوع دراسته.

لقد تمثل منهجه في دراسة وحصر الظاهرة اللغوية في الملاحظة المباشرة للمحادثات اليومية، هذه الطريقة ساعدته على قراءة أثر التفاعلات الاجتماعية على بنية اللغة. فالموضوع ليس الهدف منه تقديم نظرية جديدة للسانيات وإنما استحداث منهج جديد لها. (Boyer Henry, 1991, p. 36) وقد توصل إلى أن الضغوطات الاجتماعية تمارس تأثيرها على اللغة في شكل قوى اجتماعية فاعلة في شكلها الحاضر.

### 3.2. بورديو ومقاربة السلطة والسوق اللغوية:

يعتبر بيار بورديو من أهم علماء الاجتماع الفرنسيين في القرن العشرين، كما يعد من أهم الفاعلين في الحياة الثقافية. إذ مارست أعماله تأثيرا هاما على مثقفي عصره، فقد شملت تحليل مواضيع وميادين اجتماعية عدة. تشكل فكر بورديو في بداية سنوات الخمسينات و الستينات، حيث عاصر ليفي شتراوس وتبنى بعضا من مظاهر منهجه، ففي دراساته الإثنوغرافية الأولى، في منطقة القبائل بالجزائر، أظهر عدم رضاه على منهجية ليفي شتراوس ولم يخف شكوكه حول البنيوية، ذلك التيار النظري الذي كان يعد موضة العصر والذي فرض نفسه بسرعة على مثقفي باريس سنوات الستينيات، كما أنه انتقد النظريات اللغوية الخاصة بدي سوسير وكتاب آخرين، فقد أخذ على عاتقه مواجهة التأثير الذي تمارسه النماذج اللغوية على ميادين دراسية موضوعها المجتمع والثقافة، حيث عارض كل أشكال التحليل المستمدة من نظرية الرموز، المستوحاة من دي سوسير، كونها داخلية ولا تأخذ بعين الاعتبار الظروف الاجتماعية والتاريخية في إنتاج النصوص. (Boyer Henry, 1996, p36) وفي تعريفه لموضوع اللغة يرى أنها من نتاج الجماعة، الذين يملكون السلطة لكتابتها، فهي موثقة ومرمزة من قبل النحويين والأساتذة، المكلفين بتعليمها وتلقينها. وبهذا فإنها القانون بالمعنى

الرياضي الذي يسمح بتأسيس المعادلات بين الأصوات والمعاني، وأيضاً بمعنى نظام من القيم الذي ينظم الممارسات اللغوية. (Bourdieu Pierre, 1982, p. 27)

يرى بورديو أن كل وضعية لغوية تعمل كسوق، أين يضع المتكلمون منتوجاتهم، هذا المنتوج يتوقع أن يكون له ثمن في هذه السوق. أين يتم التبادل بأشياء ما، هذه الأشياء هي الكلمات، لكن الكلمات ليست مصنوعة من أجل الفهم فقط، فهي ليست ناقلة لتقرير اتصالي بسيط وإنما هو تقرير اقتصادي، أين يتم فيه تحديد قيمة المتكلم وهل يتكلم بطريقة جيدة ولامعة. (Bourdieu pierre, 2002, pp 98-99) نستنتج مما سبق أن بيار بورديو تناول الظاهرة اللغوية من زوايا اجتماعية وسياسية واقتصاديه، شكلت جزءا هاما من فكره السوسيولوجي.

**3. لمحة تاريخية عن الوضعية اللغوية في الجزائر:**

تعتبر المسألة اللغوية في البلدان المغاربية رهان حاسم ومهم حسب تعبير الباحثة جوزلين داخلية، و مجالا للصراع والتناحر، هذه هي حقيقة الظاهرة اللغوية اليوم. (Dakhlia Joceline et autres, 2004, p. 11) فالمحيط المغاربي غني بالتنوعات اللغوية المختلفة، عربية كلاسيكية أو وسطى، وعربية عامية، وأمازيغية، وفرنسية، وإسبانية، وإنجليزية، كلّها متعايشة وحاصلة على مكانات مختلفة بأشكال رمزية متنوعة، وبأدوار مختلفة عن بعضها البعض. (Iraqui Sinaceur Zakia, 2004, p. 509)

إلا أن اللغة الفرنسية التي أدخلها الاستعمار إلى بلدان المغرب العربي كانت مُحملة بنفي شامل ليس فقط للثقافات المحلية، بل وكذلك للثقافة الإسلامية. لقد جسدت بحضورها في هذه البلدان قانون المستعمر، إذن ما تتضمنه اللغة الفرنسية هو كبت لمجموع الثقافات المغاربية باعتبارها ثقافة مختلفة ولا عقلانية. ( غرانغيوم جلبير، 2001، ص

174). وفيما يخص سياستها اللغوية فيرى المختصون في هذا المجال أنها لم تطبق بنفس الطريقة في البلدان الثلاثة، وكان الهدف منها فرض قيمها التعليمية، أي استبدال النظام التعليمي التقليدي القائم بنظام عصري. (Quitout Michel, 2007, p. 39)

### 1.3. التعريب ومسألة السيادة الوطنية:

تميز التعريب في الجزائر عن باقي الدول المغاربية بخصوصيات سياسية واجتماعية، حيث يرى غرانغيوم أنه رغم وجود معطيات مشتركة بين بلدان المغرب العربي، إلا أنه لا يمكن فهم مسألة التعريب كلياً إلا في الإطار الوطني الخاص بكل بلد على حده، فلكل منها خصوصيتها اللغوية والثقافية. ( غرانغيوم جلبير، المرجع السابق، ص 43) كما أن مسألة التعريب إبان الاستقلال كانت مرتبطة بفكرة شرعنة الحكم، على اعتبار أن الدولة المستقلة هي وريثة الحكم الأجنبي، فهي حسب الباحث ليست مُتيقنة من نوع الاعتراف الذي ستحظى به، هل سيتم الاعتراف بها كدولة مستقلة أم اعتبارها استمراراً للآخر، المستعمر؟

بعد الاستقلال استعادت اللغة العربية مكانتها تدريجياً في النظام التعليمي، ففي ظرف عشرين سنة انتقلت اللغة العربية من مكانة اللغة المدرّسة إلى مكانة لغة التدريس. (طالب الإبراهيمي خولة، 2007، ص 120) فمنذ الأشهر الأولى للاستقلال بدأ تعريب الطور الابتدائي ببرمجة تدريس اللغة العربية لسبع ساعات أسبوعياً مع إدراج التعليم الديني، وهذا ما حقق تعريباً كلياً لهذا الطور سنة 1976.

ولغياب الإطارات التعليمية المحلية، قامت السلطات باستقدام المؤطرين والمعلمين من بلدان المشرق العربي وهذا ما كان له آثاراً سلبية على مستوى التلاميذ فيما بعد. (Quitout Michel, 2007, p. 67)

أمّا بالنسبة للتعليم العالي فقد كانت لغة التدريس فيه إلى غاية 1970 هي اللغتين العربية والفرنسية في كلية الآداب والعلوم الإنسانية. حيث بدأت إصلاحات التعليم العالي سنة 1971 بمبدأ هام ألا وهو تعريب القطاع، إذ شكلت اللجان الدائمة للتعريب في كل جامعة، ومن مهامها تنسيق ومراقبة عمليات التعريب المسطرة، وإجراء تقييمات دورية للاحتياجات المادية والبشرية الخاصة بهذه العملية، وتوجيه اقتراحات للوزير فيما يتعلق بالمهام غير الواردة في التخطيط. ( طالب الإبراهيمي خولة، المرجع السابق، ص 138

**2.3. إسهامات الباحثين فيما يتعلق بالمسألة اللغوية في الجزائر:**

تمحورت الدراسات السوسيولغوية حول أربعة مسائل أساسية هي: السياسات اللغوية والتعريب؛ التمثلات السوسيولغوية ومكانة اللغات؛ التعددية اللغوية وسوق العمل؛ الممارسات اللغوية والعولمة الثقافية.

فيما يخص السياسات اللغوية والتعريب فنجد كماً هائلا من الدراسات الأكاديمية التي تناولت هذا الموضوع بعناوين واتجاهات بحثية مختلفة منها دراسات جزائرية وأخرى أجنبية نذكر أهمها، "الجزائريون ولغاتهم"، للباحثة خولة طالب الإبراهيمي، إذ تناولت اللغة العربية في النسق التربوي في الجزائر مع ذكر المعايير المناسبة لتدريسها، كما حاولت فهم مسألة التعريب التي ترى بأنها هيكل السياسة اللّغوية في الجزائر من حيث هو قرار سياسي ومطلب قديم للحركة الوطنية. وقد جاء في دراستها أن أهم نتيجة يمكن الخروج بها من أي بحث هو الوعي بما تم إنجازه وبما بقي مطروحاً على طاولته. لتصل إلى جملة من النتائج والتساؤلات التي ترى في طرحها أهمية تعادل أهمية ما تمّ إنجازه، إذ تتساءل الباحثة عن إمكانية الاعتراف بتنوعاتنا اللّهجية، وأهمية الخوض في البحوث الخاصة بالتنوعات المتكلمة في الجزائر لتكون رصيداً مونوغرافياً محلياً وجهوياً يكون أساسا لكل الدراسات في مجال العلوم الاجتماعية.

و"التعريب والسياسة اللغوية في البلدان المغاربية"، لجيلبار غرانغيوم، حيث قام بمعالجة الوضعيات المتواجدة في المحيط المغاربي: لغة عربية ولغات أم ولغة فرنسية، وما يصاحبها من ثقافة وحضارة، ثم تعرض للمشاكل التي طرحت في مجال التعريب في كل من تونس والمغرب والجزائر، وتفاعل اللغات والسلطة في هذه البلدان.

أما بالنسبة لموضوع التمثلات السوسيولغوية ومكانة اللغات، فنذكر دراسة المركز الوطني للدراسات و التحاليل من أجل التخطيط، "تصور وممارسة اللغات الأجنبية في النظام التربوي الجزائري"، بطلب من المجلس الأعلى للتربية، ويعتبر هذا العمل أول عمل كبير لسبر الآراء والتحليل الخاص بالتصورات التي يحملها الآباء والمعلمون تجاه تعليم اللغات الأجنبية في النظام التعليمي، فالمشكل الأساسي الذي قامت عليه هذه الدراسة هو وجود اختلال أو هوة بين المقررين الذين هم أساس اختيار اللغات الخاصة بالتعليم ومكانة اللغات الأجنبية في النظام التعليمي، وبين الواقع الاجتماعي والنصوص الإلزامية الموضوعة في هذا المجال وكذلك التنمية الموجودة. ففي ما يخص مسالة التعريب يرى أصحاب هذا البحث أنه أمر يتعلق بإحلال اللغة العربية كلغة وطنية ورسمية وهو أمر لا رجعة فيه، لكن الإشكال يبقى مطروح في قضية سيرورة التعريب وعلاقته مع مختلف اللغات الأجنبية المدرسة وبشكل خاص مع اللغة الفرنسية. وقد أظهرت الدراسة من خلال إجابات المبحوثين، آراء براغماتية مبنية أساسا على وظيفة البنى البيداغوجية كمنتجة للمعرفة وكعامل انفتاح على العالم والتكنلوجيا. كما توصل الباحثون المشاركون في هذا العمل إلى نتيجة مفادها أن مجمل الآراء المعلنة في هذه الدراسة تدل على نضج سياسي، وإدراج مصطلح الديمقراطية بصفة نسبية، وتصور عقلاني للمؤسسة البيداغوجية وعلاقتها باللغات الأجنبية.

وفي مسألة التعددية اللغوية وسوق العمل نذكر الدراسة التي قام بها مركز البحث في الاقتصاد التطبيقي من أجل التنمية بعنوان "العولمة والرهانات اللغوية، أي لغات لسوق العمل في الجزائر؟" تم التوصل فيها إلى أن السياسة اللغوية فشلت تماما في تحقيق أهدافها لأنها كانت نتيجة توترات إيديولوجية، كما تم التوصل إلى أن في الشمولية أثر سلبي على الثقافات سيؤدي إلى توحيد النمط وهيمنة النموذج الأمريكي والاختفاء التدريجي للثقافات المتعددة التي تعتبر سمة هذا الكوكب، وأن سيرورة اختفاء اللغة تبدأ مع عدم رغبة الأجيال الجديدة في التكلم بلغتها باعتبارها لغة عامة وإحساسهم بالخجل عند التكلم بها.

أما بالنسبة للدراسات الخاصة بالممارسات اللغوية وعلاقتها بالعولمة الثقافية، فنذكر منها الدراسات التي قام بها مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية بعنوان "لغات ومجتمع، اللغة والخطاب" (العدد 17-18 ديسمبر 2002)، حيث أجمعت المقالات المكونة للعدد أن سمة الواقع اللغوي الجزائري هو التعدد والتنوع، فالممارسات اللغوية لمختلف الشرائح الاجتماعية تبرز أن المتكلمين الجزائريين يستغلون كل الإمكانات اللغوية المتوفرة في السوق اللغوي الجزائري، يطبعهم في ذلك التمرد على القوانين والمعايير المفروضة التي لا تهدف إلاّ لتكريس الهيمنة الرمزية على مجتمع يطمح إلى أن يعيش في مجتمع تسوده روح الاحترام والتعدد والاختلاف، الذي يعتبر نتاج لتراكم تاريخي ومسار حضاري. ومن أبرز ما توصلت إليه أن المتكلم الجزائري وخاصة الشباب منهم يعيش حالة من التثاقف على مستوى لسانه تتجلى في ممارسات لغوية يبرز فيها أثر اللغة الفرنسية وهي لغة يتعلمها منذ سن مبكرة في المدرسة.

**خاتمة:**

لقد شخص الباحث مصطفى ماضي الوضع، في قوله إن الطبقة المثقفة الجزائرية انقسمت إلى شرائح متناحرة، كل شريحة تعيد إنتاج خطابها حول المجتمع، والأمة، والتاريخ، وسلّم القيم. وهذا ما انعكس بالسلب على هذه المواضيع وعزز الأزمة الثقافية واللغوية. إن مكانة وصورة اللغة العربية في أذهان المتعلمين وعلى ألسنتهم، في ضوء هذه المعطيات السياسية والاجتماعية والاقتصادية المتضاربة المصالح دفعت ثمنها هذه اللغة، إذ لم تصل إلى المستوى الذي رسمته السياسة لها.

وعلى العكس حظيت اللغة الفرنسية ثم الإنجليزية في مرتبة ثانية، بكل التقدير والتبجيل من قبل شريحة عريضة من المجتمع، وهذا لارتباطهما في المخيلة الجماعية بالترقية الاجتماعية والاقتصادية، وهيمنتهما في السوق اللغوية المحلية والعالمية، ويجب أن نذكر هنا أن اللغة الإنجليزية متقدمة بأشواط على المستوى العالمي سواء في المجال العلمي، أو الاتصالي أو الاقتصادي، إلا أنها لم تستطع أن تأخذ مركز الصدارة في السوق اللغوية الجزائرية وذلك لاعتبارات تاريخية وسياسية.

إن القول بضعف لغة ما هو أمر عارٍ من الصحة، فاللغة هي وسيلة ومرآة عن ذوات المتكلمين بها، تحس بما يحسون وتكره ما يكرهون، تكتب تاريخهم وأمجادهم وأحلامهم وترافقهم في مسيرتهم الحضارية، كما أنها قد تعكس ضعفهم وانحطاطهم الفكري والروحي. إن الخوض فيها دون محاولة التصالح مع ذواتنا يعزز مظاهر الانشقاق ويكرس ثقافة الكراهية وينبذ قيم التعايش.

إن تاريخ ومكانة اللغة العربية لا يمكن التجادل حولهما، لأنه قد يخرج كلا الفريقين خاسرين، أما مستقبلها فمرهون بالتصورات التي يحملها المتكلمون بها، شئنا أم أبينا، وعلى

السياسات اللغوية أن تأخذ هذا الأمر بعين الاعتبار. لقد ورد في مقال الباحث مصطفى ماضي: "علينا أن نكف عن الدفاع السياسي عن اللغة العربية، وأن نقوم بها علمياً وأن نعمل على ترقيتها في مجال التسيير والإنتاج والإدارة". (مصطفى ماضي، 1992، ص 124)

## قائمة المراجع:


1. بكال صونيا، **الازدواجية اللغوية. مجلة اللغة الأم**، الجزائر، دار هومة، 2009.
2. الراجحي عبده، **فقه اللّغة في الكتب العربية**. بيروت، دار النهضة العربية، 1982.
3. الزواوي بغورة، **(بين اللغة والخطاب والمجتمع مقاربة فلسفية اجتماعية)، إنسانيات:لغات ومجتمع**، العدد 17-18 ديسمبر 2002.
4. عكاشة محمود، **علم اللغة مدخل نظري في اللغة العربية**. مصر، دار النشر للجامعات، 2007.
5. غارمادي جولييت، **اللسانيات الاجتماعية**. (ترجمة خليل احمد خليل)، بيروت، دار الطليعة للطباعة و النشر، 1990.
6. غرانغيوم جلبير، **اللغة والسلطة والمجتمع في المغرب العربي**. ترجمة مُحَمَّد أسليم، المغرب، افريقيا الشرق، 2001.
7. لعبيدي جمال، **الشوط الثالث**. جريدة " الخبر الأسبوعي" يوم 2010.02.16
8. مصطفى ماضي، **الانقسامية في اللغة من لغة الخطاب إلى لغة التسيير**. أعمال الملتقى الدولي المنعقد في الجزائر بعنوان الثقافة والتسيير. أيام 28- 30 نوفمبر 1992.
9. مؤمن أحمد، **اللّسانيات النشأة والتطور**. الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2002.
10. Benguerna Mohamed, et autres, (**Mondialisation et enjeux linguistiques . Quelles langues pour le marché du travail en Algérie**? )Actes de la journée d'études organisé le 5 Avril 2001 au CREAD .Alger, Casbah éditions, 2002.
11. Bourdieu Pierre, **Ce que parler veut dire L'économie des échanges linguistiques.** Paris, Fayard, 1982.
12. Bourdieu Pierre, **Langage et pouvoir symbolique.** Paris, éditions du Seuil, 2001.
13. Boyer Henry, **Éléments de Sociolinguistique**. Paris, Dunod, 1991.

14. Boyer Henry, Jean-Marie Prieur, (**La Variation (Socio)Linguistique)**. In Boyer henry et autres, **Sociolinguistique Territoire et objets**, Lausanne, Delachaux et Niestlé, 1996.
15. Dakhlia Joceline et autres, **Trames de Langues Usages et métissages Linguistiques Dans L'histoire du Maghreb**. Paris, Maisonneuve & Larose, 2004.
16. Calvet Louis-Jean**, la sociolinguistique**. Que sais-je ?, France puf, 5ème édition, 2005.
17. Calvet Louis-Jean**, Les voix de la ville : Introductions à la sociolinguistique urbaine**. Paris, Éditions Payot & Rivages, 2ème éditions, 2011.
18. Garmadi Juliette, **La Sociolinguistique**. Paris, Puf 2e linguiste, 1981.
19. Giuliu C. le pschy, **la linguistique structurale**. Traduit par louis-jean Calvet, paris, Payot, 1969.
20. Grandguillaume Gilbert, **Arabisation et politique linguistique au Maghreb**. Paris, Maisonneuve et Larousse, 1983.
21. Hagege Claude, **Halte à la mort des langues**. Paris: Editions Odile Jacob, 2000.
22. Iraqui Sinaceur Zakia, **Histoire et emprunt linguistique**. In Dakhlia Joceline et autres, **Trames de Langues Usages et métissages Linguistiques Dans L'histoire du Maghreb**. Paris, Maisonneuve & Larose, 2004.
23. Jean-Jacques Rousseau, **Essai sur l'origine des langues**. Paris: Gallimard, 1990.
24. Labov, William, **Sociolinguistique**. Traduit par Pierre Encrevé, Paris, Les éditions de Minuit, 1976.
**25.** Madi Mustapha, **La question linguistique à travers la presse algérienne de langue arabe, L'arabisation : du mouvement à la stratégie**. In Benguerna Mohamed, et autres, Mondialisation et enjeux linguistiques. Quelles langues pour le marché du travail en Algérie ? Actes de la journée d'études organisées le 5 Avril 2001 au CREAD. Alger, Casbah éditions, 2002.
26. Madoui Mohamed,**( Globalisation: Quel impact sur les langues et la culture ?)** In Benguerna Mohamed, et autres, Mondialisation et enjeux linguistiques. **Quelles langues pour le marché du travail en Algérie** ? Actes de la journée d'études organisées le 5 Avril 2001 au CREAD. Alger, Casbah éditions, 2002.
27. Quitout Michel, **Paysage Linguistique Et Enseignement Des Langues Au Maghreb Des origines à nos jours, L'amazighe, L'arabe et**

**le Français au Maroc en Algérie, en Tunisie et en Libye**. Paris, L'Harmattan, 2007.

28. Sadovnik Alain R., Basil Bernstein (1924-2000). Texte tiré de perspectives : revue trimestrielle d'éducation comparée, vol xxxı, n°4, décembre 2001, p.715-731. UNESCO : Bureau international d'éducation, 2001, consulte sur le site web : http://www.ibe.unesco.org/filed,in/user_upload/archive/publication/thinkers PDF/Berstein, (08-04-2013).

29. Taleb Ibrahim Khaoula, **Les Algériens et leur(s) langue(s) éléments pour une approche sociolinguistique de la société Algérienne**. Alger : les éditions El hikma, 1995.

30. Taleb-Ibrahimi Khaoula, **(Quelques considérations sur la politique linguistique de l'Algérie ou la difficile transition de l'unanimisme a la prise en compte du plurilinguisme)**. In Benguerna Mohamed, et autres, **Mondialisation et enjeux linguistiques. Quelles langues pour le marché du travail en Algérie?** Actes de la journée d'études organisées le 5 Avril 2001 au CREAD. Alger, Casbah éditions, 2002.